الفصل الأول

الخلفية العربية والظروف التاريخية والأوضاع السكانية

مقدمة :

من نافلة القول أن دول الخليج العربية جزء من الأمة العربية . وهى وأن كانت فى تركيبها السياسى والاجتماعى والاقتصادى المعاصر حديثة النشأة إلا أنها تضرب بجذور بعيدة فى أعماق التاريخ . ودخلت الإسلام منذ ظهوره . وخضعت مع باقى شقيقاتها العربيات لظروف تاريخية متشابهة طيلة الأربعة عشر قرناً الماضية من الزمان. ولذلك سنمهد بكلمة عامة عن الخلفية العربية التى أثرت فى تشكيل النظم التعليمية العربية بصفة عامة كخلفية مشتركة بين الدول العربية جميعاً ومنها بالطبع الدول الخليجية . ثم نتناول بعد ذلك الكلام بالتخصيص عن منطقة الخليج العربية .

أولا: الخلفية العربية المؤثرة فى تشكيل النظم التعليمية

إن النظم التعليمية العربية وليدة مجموعة من العوامل والظروف عملت على تشكيلها بالصورة التى هى عليها . ومعرفة هذه العوامل تساعدنا على تعميق فهمنا لهذه النظم . وباختصار يمكن القول بأن هذه العوامل تتمثل فى أبعاد ثلاثة : البعد التاريخى وبُعد الحاضر وبُعد المستقبل . وسنتناول كل واحد منها فى السطور الآتية :

البُعد الأول : الظروف التاريخية

لقد اتسم التطور التاريخى للعالم العربى منذ ظهور الاسلام حتى الفترة الراهنة بملامح رئيسية تتمثل أساساً فى أنه كان مهد الديانات السماوية وهذا هو الملمح الأول وأنه تكون أساساً تحت راية الإسلام . وهذا هو الملمح الثانى . الملمح الثالث أن قمة

ازدهاره جاءت نتيجة انفتاحه على الثقافات والحضارات الأخرى . والملمح الرابع هو عرقلة حركته ونموه نتيجة للحكم التركى العثمانى أولا ثم السيطرة الأجنبية البريطانية والفرنسية ، أى أنه خضع لغير الاستعمار . وسنتناول كل واحد من هذه الملامح بالتفصيل على حدة .

(أ) وطن هو مهد الديانات السماوية :

لقد كانت المنطقة العربية فى امتداد تاريخها الطويل على مر الزمن مهبط الرسل والديانات السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلام . ومن هذه المنطقة شع نور الايمان ليملأ العالم هدى ونوراً ومحبة . بيد أن الإسلام يختلف عن كل من اليهودية والمسيحية فى أن معقله الأساسى ظل دائماً فى موطنه الأصلى رغم أن انتشاره الأكبر يقع خارج هذا الوطن . ويختلف الإسلام عنهما أيضا فى أنه دين أغلبية فى حين أن اليهودية والمسيحية هما دينا الأقلية . بيد أن هذه الأقلية تختلف فى شرق العالم العربى عن غربه .

ففى غرب الوطن العربى كانت تتركز أقلية يهودية وكان مركزها الرئيسى فى المغرب . وقد بدأت هذه الأقلية تتناقص بسرعة نتيجة الهجرة فى السنوات الأخيرة . أما فى المشرق فهناك الأقلية المسيحية أساساً وتتركز فى مصر والشام .

ومع هذا فلا شك فى أن الاسلام قد صبغ حياتنا العقلية على مدى أربعة عشر قرناً وصبغ تفكيرنا وتقاليدنا وعاداتنا وحياتنا اليومية . وأن المسيحيين العرب الذين عاشوا فى هذه البلاد قد تأثروا بكل هذا الى حد كبير على رغم اختلاف الدين . فالاسلام لم يكن مجرد دين فحسب . بل كان تاريخاً وحضارة وحياة عقلية عملت على توحيد الجميع مسلمين ومسيحيين فى إطار فكرى ومعيشى واحد .

(ب) وطن تكون تحت راية الاسلام :

كان العرب قبل الإسلام يعيشون فى المنطقة التى تعرف الآن بشبه الجزيرة العربية . وكانت حياتهم حياة بداوة بسيطة تحكمها الصحراء بجدبها والقبلية بعصبيتها. ولم تكن هناك وحدة سياسية تلم شملهم وإنما عاشوا فى حالة تفكك

اجتماعى وسياسى كبير .

وجاء الإسلام ، وكان ثورة اجتماعية شاملة لم يكن لأهل الجزيرة العربية فحسب وانما للناس قاطبة من عرب ومن عجم . ومن ثم بدأت رسالة الاسلام تأخذ طريقها إلى خارج الجزيرة لتبشر بالدين الجديد . وقد استطاع العرب تحت لواء الدين الجديد أن يهزموا أكبر دولتين فى عصرهما (أى أوائل القرن السابع الميلادى) . ولم يمض على وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام سوى حوالى ثلاثة أرباع قرن من الزمان إلا وكان الاسلام يرفرف على رقعة هائلة تمتد من المحيط الهندى شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً . فقد فتح العرب دمشق سنة ٦٢٥ م والعراق سنة ٦٣٧ م ومصر سنة ٦٤١ م وبرقة سنة ٦٤٣ م .

وتم لهم السيطرة على بلاد فارس سنة ٦٥٢ م وواصلوا فتحهم لشمال أفريقيا سنة ٦٦٤ م . وكانت لهم السيطرة عليها تماما سنة ٧١٣ م . وقد انتشر الاسلام بسرعة كبيرة فى مناطق أخرى من العالم حتى أصبح يضم اليوم مئات الملايين المنتشرة فى جميع أنحاء العالم . وقد صاحب المد العربى انتشار الاسلام ، بل وعندما انحسر الامتداد العربى بقى الاسلام كما هو بل واتسعت رقعته .

والمهم من كل هذا هو أن نبين أن ما يعرف الآن بالوطن العربى دخل إلى العروبة عن طريق الاسلام . ومع حركة التعريب اللغوى والثقافى التى شملت هذا الوطن انصهر فى بوتقة العروبة على مر الزمن وكون معها وحدة عضوية متجانسة . وقد ساعد على ذلك وحدة الأرض والتاريخ والآمال والانتماء المصيرى .

وعلى الرغم من هذا الامتزاج الكبير للوطن العربى بالثقافة العربية تحت راية الاسلام وتشكيل عقلية الشعوب العربية بهذه الثقافة الجديدة فإننا نجد دعوات انفصالية تحاول أن تفتت العالم العربى وتجزئه . فهناك من نادى بمصر الفرعونية ولبنان الفينيقية والعراق الكلدانية والأشورية والقومية السورية . وهى دعوات انتكاسية تعتمد على ماض سحيق لا يرتبط بالحاضر إلا بأوهى الروابط . وهذه الدعوات دعوات هدامة تساعد على تعميق التناقضات الثقافية التى يشكو منها العالم العربى . وبالطبع فإن للتربية دوراً رئيسياً فى القضاء على هذه التناقضات والعمل على توحيد وتجانس الاتجاهات الفكرية فى العالم العربى وهو ما أكدناه أكثر من مرة .

وكذلك نجد أن العالم العربى فى تطوره قد ضم أقليات عنصرية غير عربية كالأكراد فى العراق وسكان جنوب السودان إلا أنه يمكن القول بوجه عام ان نسبة الاسلام فى العالم العربى أعلى من نسبة العروبة .

ومع أن الاسلام حارب الشعوبية منذ البداية فلا شعوبية فى الاسلام كما ورد فى الأثر إلا أن هناك نقطة فى العصر الحديث انشعب عندها التيار الدينى الاسلامى ليشمل رافد القومية . وسياسة التمييز الدينى التى اتبعتها مع الأقليات الدينية غير الإسلامية وكان من أهم بواعثها اشتداد النزعة العصبية التركية ممثلة فى حزب الاتحاد والترقى التركى . فكان ظهور القومية رد فعل لهذه النزعة . وقد ساعد على ذلك احتكاك العرب بالغرب موطن القومية . وكان للمسيحيين العرب فى الشرق العربى الفضل فى ذلك لاحساسهم بالتمييز التركى مما دفعهم إلى البحث عن القومية العربية كبديل عن الاسلام ولتأثرهم بالارساليات الأوروبية فى التعرف على فكرة القومية . وهكذا وجد فى العالم العربى تياران : تيار العروبة وتيار الاسلام . ومازال هذان التياران يؤثران تأثيراً قوياً فى توجيه حياة الشعب العربى ومقدراته . والواقع أنه ليس هناك خلاف بين العروبة والاسلام فى العالم العربى فستظل العروبة درعاً للاسلام ما بقى القرآن عربياً .

(جـ) وطن ازدهر بانفتاحه على الثقافات الأخرى :

اتصل العرب فى فتوحاتهم بالحضارة الفارسية والهندية فى الشرق والحضارة الرومانية البيزنطية فى الغرب . ووجدت الثقافة العربية الجديدة روافد فكرية متدفقة فى هذه الحضارات نهلت منها وترعرعت عليها . ودخل فى اللغة العربية كثير من المفردات والألفاظ الفارسية والآرامية والسريانية بل إن القرآن الكريم استخدم بعض هذه المفردات والألفاظ . وقد وصل الوطن العربى إلى قمة ازدهاره وتألقه الفكرى والحضارى فى عصر العباسيين وهو ما يعرف بالعصر الذهبى للحضارة العربية . وكانت عاصمتهم بغداد كعبة فى العلم والفن والأدب . وقد أسهم فى هذه النهضة الكبرى كثير من علماء وأدباء وفنانى الدولة الجديدة من غير العرب . كما أسهمت فيها أيضا حركة الترجمة الكبيرة التى شهدتها هذه الفترة وفيها ترجمت الكتب اليونانية فى الطب والفلسفة والحكمة والآداب . وهكذا بلغت الحضارة العربية أوج مجدها بانفتاحها على الثقافات

الأخرى . ومن ناحية أخرى نجد أن أظلم فترة فى التاريخ الحضارى للعالم العربى عندما انغلق على نفسه تحت الحكم التركى العثمانى طيلة عدة قرون . وتجمد فيها الفكر العربى ونام نومة طويلة لم يفق منها إلا على الحركات السلفية الاصلاحية وعلى طرقات خارجية كان فى مقدمتها الحملة الفرنسية على مصر . وبعدها بدأت الحياة تدب فى العالم العربى من جديد . ومعنى هذا أن الانفتاح على الثقافات الأخرى كان سمة مميزة لمعالم النهضة الفكرية والحضارية فى العالم العربى ، وإذا كانت هناك دعوى فى بعض البلاد العربية ترى أن سياسة الانغلاق وقفل الأبواب هى الوسيلة لتطوير البلاد ورقيها على غرار ما حدث فى الاتحاد السوفيتى فى ظل الستار الحديدى وفى الصين فإن هذه الدعوى تجافى واقع تطور العالم العربى ولا تتمشى مع واقعه . ولا شك أن مثل هذه الدعوى هى أيضا دليل على التناقضات الثقافية التى يعانى منها العالم العربى .

(د) وطن خضع لنير الاستعمار :

فقد وقع العالم العربى طيلة خمسة قرون تحت الحكم التركى العثمانى وهى فترة تميزت بأنها عصر الظلام فى تاريخ الشعب العربى . ومع أن العرب أنفسهم يختلفون فى تقويم الدور الذى لعبه الأتراك فى مقدرات بلادهم إلا أن الحقائق تتكلم عن نفسها . فقد عمل الأتراك على قبر اللغة العربية والثقافة العربية وإعلاء شأن اللغة والثقافة التركية . وجاء على البلاد فى تلك الفترة حين من الدهر كانت اللغة التركية هى اللغة الرسمية ، وكان تدريسها إجبارياً فى المدارس أما اللغة العربية فكانت تعيش على هامش التاريخ وكانت تدرس كلغة أجنبية . وقدم الأتراك إلى العالم العربى «نظام الحريم أو الحرملك» الذى ساعد على تخلف المرأة اجتماعياً وثقافياً وعمل على حرمانها من التعليم . وعملت السياسة التعليمية التى اتبعتها الدولة العثمانية على تأخر التعليم العربى الحديث بين المسلمين دون غيرهم . ولهذا السبب انتشر التعليم العربى الحديث بين المسيحيين قبل المسلمين . ولهذا السبب أيضا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذين ظهروا فى الولايات العربية فى العهد العثمانى مسيحيين بالرغم من قلة عددهم بالنسبة إلى المسلمين . كما أدت هذه السياسة أيضا إلى انتشار المدارس الأجنبية والتبشير بها فى البلاد العربية وما ترتب على ذلك من نتائج خطيرة على تطور المجتمع العربى وهو ما فصله أجمل تفصيل المرحوم ساطع الحصرى فى حولية

وبعد الأتراك العثمانيين وقع العالم العربى فريسة للاستعمارين الفرنسى والبريطانى اللذين تقاسما العالم العربى بينهما كلاً مباحاً . وقد استهدفت الادارة الفرنسية " فرنسة البلاد العربية " التى حكمتها وفى مقدمتها المغرب العربى عامة والجزائر بصفة خاصة وكذلك سوريا ولبنان . أما الإدارة البريطانية فقد حكمت مصر والسودان والعراق وفلسطين . وكانت سياسة بريطانيا فى البلاد العربية التى حكمتها لا تستهدف تحويل سكان البلاد إلى مواطنين بريطانيين وإنما مثقفين ثقافة بريطانية .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين السياسة البريطانية والفرنسية فى البلاد العربية فإن النتيجة كانت واحدة وهى وجود مشكلات تربوية وتعليمية ظل العالم العربى يعانى منها فترة طويلة . ومازال يعانى من بعضها حتى الآن وفى مقدمتها تعريب التعليم . ومع أن العالم العربى قد استقل وحصل على حريته فما زال يستخدم لغة المستعمر فى معاهده كلغة تعليم .

البُعد الثانى : الأوضاع الحالية للوطن العربى

تعانى الأوضاع الحالية فى العالم العربى من كثير من التناقضات ومن ثم تصبح هذه الأوضاع نقطة ضعف من حيث إنها فى الأصل ينبغى أن تكون نقطة قوة . ولتوضيح هذا الكلام وتفصيله نستعرض الجوانب المختلفة لأوضاع العالم العربى فى السطور التالية :

(أ) أهمية استرايجية لكنها ضائعة :

يمثل العالم العربى أهمية استراتيجية كبرى بامتداده الهائل على أكبر قارتين . وتتمثل هذه الاستراتيجية أساساً فى احتواء العالم العربى لكل الشاطىء الشمالى لأفريقيا أى ما يمثل الشاطىء الجنوبى للبحر الأبيض . يضاف إلى ذلك الشاطىء الشرقى له أيضا . ويحتوى العالم العربى أيضا شاطىء البحر الأحمر شرقيه وغربيه لدرجة يمكن القول معها بأن البحر الأحمر لا يخرج عن كونه « بحيرة عربية » . وتمثل المضايق المائية فى شمال وجنوب هذا البحر الأحمر أهمية استراتيجية كبرى فى ميزان

السيطرة العالمية . وبهذا تعتبر الدولة العربية جسراً أساسياً هاماً يربط بين الشرق والغرب . بيد أن هذه الاستراتيجية الحيوية للعالم العربى تتطلب قوة تحميها لتثبت وجودها وتتحقق فعاليتها وهو ما لا تستطيع أن توفره الدول العربية بوضعها الراهن . وقد ساعد على ضعف فعالية هذه الاستراتيجية ضعف وتجزئة العالم العربى إلى دول قد لا تتفق فيما بينها على انتهاج سياسة موحدة فى تنشيط هذه الاستراتيجية أو استخدامها .

وقد عمل هذا الموقع الاستراتيجى الهام من ناحية أخرى على وقوع العالم العربى ضمن مناطق النفوذ الكبرى من ناحية ومرتعاً خصباً للتيارات الفكرية والعقائدية من الغرب والشرق على السواء من ناحية أخرى .

(ب) ثروات اقتصادية كبيرة لكنها تحتاج إلى تنمية :

يملك العالم العربى ثروات ومصادر اقتصادية كبيرة فى مقدمتها البترول والثروات الطبيعية الأخرى وعلى الرغم من غنى العالم العربى بهذه الثروات فإنه يعانى من التخلف الاقتصادى . ويرجع ذلك أساساً إلى عدم استغلال هذه الثروات استغلالا كاملا تتحقق معه تنمية اقتصادية حقيقية فى البلاد العربية . بل إن البترول العربى وهو من أهم هذه الثروات ينقل معظمه خاماً إلى أوروبا ليبعث الحركة والنشاط فى معامل التكرير هناك وليساعد على قيام صناعات هائلة مترتبة على تكريره . إن معظم الثروات الاقتصادية الأخرى التى يملكها العالم العربى مدفونة تحت الأرض لم تستغل بعد . وحسن استغلال هذه الثروات سيعود بلا شك بالخير والنفع على الشعوب العربية ويزيد من طاقاتها وامكانياتها ويرفع من مستواها الاجتماعى ويحقق لها الرفاهية . بيد أن استغلال هذه الثروات يحتاج إلى رأس المال من ناحية وإلى الخبرة الفنية والقوى البشرية من ناحية أخرى . أما رأس المال فهو متوفر لدى الدول الغنية فى البلاد العربية ويمكنها أن تساهم فى تمويل المشروعات الاستثمارية لاستغلال الثروات الاقتصادية فى البلاد العربية التى لا يتوفر لها رأس المال الكافى . أليس من الغريب أن بنوك أوروبا وأمريكا تكتظ بالأموال العربية المدخرة وأن الأموال العربية تعطى كقروض للدول بل وللبنك الدولى . ومع ذلك نجد بلاداً عربية كثيرة هى فى أشد الحاجة إلى هذه الأموال لتنمية مواردها الاقتصادية ، وتضطر هذه الدول غالباً إلى الاقتراض

من الدول الأخرى . إن العالم العربى يعتبر أكبر مُصدّر لرأس المال . وفى بنوك أوروبا وأمريكا يوجد عشرات الآلاف من ملايين الدولارات من الأموال العربية . ويمكن لهذه الأموال أن تبعث النماء والحياة فى العالم العربى . أما بالنسبة للخبرة الفنية والقوى البشرية فهى محدودة فى العالم العربى وتحتاج إلى تنمية كبيرة . بيد أن توزيع هذه القوى البشرية يتفاوت من دولة لأخرى شأنها شأن توزيع رأس المال . لكننا نجد أن الدول العربية التى تملك رأس المال بوفرة لها حظ قليل فى القوى البشرية والعكس صحيح . فالدول العربية التى يتوفر لها غنى نسبى فى الموارد البشرية يندر توفر رأس المال الكافى لتغطية احتياجاتها من أجل التنمية الاقتصادية . إن التكامل الاقتصادى والبشرى ضرورى للتنمية الشاملة فى البلاد العربية وإذا كانت الشعوب العربية تنشد تحقيق الوحدة الاقتصادية فإن أساس هذه الوحدة يقوم على دعائم التكامل الاقتصادى والبشرى بين أرجاء الوطن العربى كله . إن التكتلات الاقتصادية العالمية سمة مميزة للتطورات الاقتصادية الحديثة فى هذا العصر . والهدف الذى تسعى اليه هذه التكتلات الاقتصادية هو حماية اقتصاديات شعوبها ضد المنافسات الخارجية وتوفير أحسن الشروط اللازمة لنموها وازدهارها . أفلا يكون فى ذلك درس مستفاد للشعوب العربية ؟ .

(جـ) ثروة بشرية فى حاجة إلى تنمية :

يملك العالم العربى ثروة بشرية كبيرة بحساب الاعداد اذ يبلغ مقدارها ما يقرب من ٢٠٠ مليون نسمة وهو عدد يزيد ثلاث مرات على سكان بريطانيا أو ما يزيد عن نصف سكان الاتحاد السوفيتى . لكن الغالبية العظمى لهذه المجموعة البشرية الكبيرة أميون أو لا يجيدون أى مهارات فنية . ومعنى هذا أن هناك فاقداً كبيراً فى الثروة البشرية فى البلاد العربية . إن أهم ما يميز الثروة البشرية فى العالم العربى أنها فى غالبيتها فقيرة مريضة جاهلة وهى بهذا تثير مشكلات تربوية كثيرة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتطور المجتمع العربى . إن نسبة كبيرة من الدخل القومى فى البلاد العربية تضيع هباء نتيجة للأمراض المتوطنة التى تنخر فى عظام هذه الثروة لتحيلها إلى صور باهتة حائرة منهوكة القوى كما أن جزءا كبيراً آخر يضيع نتيجة الأمية وتفشى الجهل .

لقد كشف الصراع العربى الاسرائيلى عن أهمية العنصر البشرى ذى المستوى العالى من الكفاءة الذى استطاعت به اسرائيل أن تستوعب التقدم العلمى الهائل الذى يشهده القرن العشرون . وأن تسخره لخدمة أغراضها العسكرية والاقتصادية على السواء. وتباهى اسرائيل بأن لديها أعلى نسبة فى العالم بين عدد الأطباء وعدد المرضى. ولقد أدرك الاسرائيليون منذ زمن بعيد النتائج العسكرية التى يمكن أن تترتب على وجود مستويات صحية عالية يعمل على توفيرها قطاع طبى كبير . فهذا " أرنست ستوك " فى كتابه « العلم والتعليم العالى فى اسرائيل » يقول : « قدرت اسرائيل أنه لن يكون بمقدور مصر أن تجند أكثر من مائتى ألف من الرجال أى حوالى ١٪ من مجموع عدد سكانها الذى كان يبلغ حوالى ٢٢ مليون نسمة فى أواسط الخمسينات . هذا فى حين أنه كان بمقدور بلد كامل التطور يتمتع بطاقة بشرية مماثلة أن يحشد حوالى المليونين من الرجال . وعلى هذا الأساس تمكنت اسرائيل من أن تجند عدداً يوازى أقصى ما كان فى استطاعة مصر أن تحشده » . وهذا مثال واحد أردنا به توضيح أهمية تنمية الثروة البشرية . وهناك أمثلة أخرى كثيرة مماثلة فى مجال التعليم والبحث العلمى فى شتى الميادين . وهذا يعنى أن تنمية الثروة البشرية مسألة ضرورية ملحة بالنسبة للبلاد العربية . ولا نبالغ كثيراً إذا قلنا أنها مسألة حياة أو موت . ومن الواضح أن التعليم هو المسئول الأول عن تنمية هذه الثروة والوصول بها إلى مستويات عالية من الكفاءة .

إن الثروة البشرية تمثل نقطة الانطلاق الأساسية للتنمية والتقدم فى العالم العربى . وهناك أمثلة حية لشعوب استطاعت أن تحقق نهضتها وتقدمها على أساس تنمية ثروتها البشرية . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حدث فى كل من اليابان ، والدانمرك . فقد انفردت اليابان من دول الشرق بتقدمها الهائل واحتلالها مركز الصدارة بين العالم المتقدم على الرغم من أن اليابانيين لا يملكون من الموارد الطبيعية سوى الصخر والماء والهواء . وسر نهضتها ارتكز أساساً كما تشير تقارير اليونسكو على نظام التعليم والتدريب الذى استخدمته اليابان . ونفس الشىء يمكن أن يقال أيضا بالنسبة للدانمرك وهى فقيرة فى مواردها الاقتصادية . أليس فى ذلك درس مستفاد آخر للشعوب العربية ؟ .

(د) ثقافة واحدة لكنها مليئة بالتناقضات :

إن الثقافة العربية هى العامل الأساسى الذى يوحد بين أبناء الأمة العربية . وهى ثقافة متجانسة تمتد على أرجاء العالم العربى كله . وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات المحلية الاقليمية فإنها لا تقلل أو تؤثر فى الاتجاهات العامة الأساسية للتجانس الثقافى للشعب العربى . فالثقافة العربية تحتويها لغة عربية واحدة . وتقوم فى مصادرها الأساسية على أسس واحدة تشمل كل أبناء العالم العربى . ولا يعانى العالم العربى كما نجد فى المجتمعات الأخرى من وجود مجموعات عرقية أو لغوية أو دينية مختلفة باستثناء بعض الأقليات العرقية فى العراق وجنوب السودان وبعض الأقليات الدينية . لكن على الرغم من ذلك فإن العالم العربى يعانى من كثير من التناقضات التى تنخر فى وحدته الثقافية وتفتت تماسكها . ولقد ساعد على تعميق التناقضات الثقافية فى العالم العربى تجزئته إلى دول ودويلات مقطعة الأوصال تفصل بينها الحدود كما تفصل السدود تدفق الأنهار . ووقوعه ضمن مناطق النفوذ الكبرى وكونه مرتعاً خصباً للمذاهب الفكرية والعقائدية المختلفة . وهناك المفارقات الكثيرة التى تثير الاستغراب . ففيه الغنى الفاحش والفقر المدقع . وفيه التحضر الكبير والتخلف والمشين . وفيه القصور الشاهقة وأكواخ الطين الحقيرة . وفيه الراكبون المرتاحون وفيه السائرون وسط الزحام . وفيه المثقفون والمتعلمون والأميون والجاهلون . وفيه اليساريون والراديكاليون والتقدميون والمحافظون . ولا شك أن هذه المفارقات تساعد على تفتت وحدة الشعب العربى وتباعد بين أبنائه فى التفكير والمشارب والأهداف وتسبب صراعات فكرية واجتماعية ليست فى صالح تطور المجتمع العربى . لقد خلقت أوروبا وحدتها رغم تباعد دولها واختلاف شعوبها وأصبحت الوحدة الأوروبية حقيقة واقعة تقوم على أساس قوة سياسية واقتصادية متكاملة . وإذا كان الأمر كذلك لدول تختلف فى مشاربها فمن باب أولى أن يتحقق لدول تتوحد فى مشاربها كالدول العربية . أليس هذا درساً مستفاداً آخر للدول العربية ؟ .

البُعد الثالث : اتجاهات المستقبل

إن أى تطوير للاتجاهات التعليمية فى الوطن العربى فى المستقبل لابد أن يضع فى اعتباره ما يشهده العالم من تطورات هائلة تتمثل فيما يسمى بالانفجارات الثلاثة . ويقصد بها : الانفجار السكانى والانفجار المعرفى وانفجار المطامح والآمال .

أما بالنسبة للانفجار السكانى فإن الشعوب العربية تتميز بنمو سكانى سريع يتراوح بين ٢,٨ ٪ إلى ٣٪ وهى من أعلى النسب فى العالم ولا يماثلها إلا دول أمريكا اللاتينية . والانفجار السكانى فى حد ذاته لا يمثل مشكلة لدولة ترتفع فيها معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . فالاتحاد السوفيتى على سبيل المثال يكافىء الأم التى تنجب عشرة أطفال ، يعطيها لقب بطلة الاتحاد السوفيتى . أما بالنسبة للدول العربية فإن معدلات النمو الاقتصادية لا تتناسب مع معدلات النمو السكانى من ناحية والقضاء على التخلف الاقتصادى الموروث من ناحية أخرى . ومن هنا تصبح مشكلة النمو السكانى فى البلاد العربية هى فى جوهرها مشكلة اجتماعية أكثر من كونها اقتصادية . ومن هنا أيضا نستطيع أن نفهم السبب فى أن متوسط دخول الأفراد فى البلاد العربية مازال منخفضاً على الرغم من ارتفاع الدخول القومية للبلاد العربية بصفة عامة . وترتب على ذلك أيضا قيام أوضاع اقتصادية غير مرغوبة مثل زيادة الاستهلاك زيادة كبيرة وقلة المدخرات واعتماد حياة معظم الشعب من العاملين فى قطاع الخدمات على دخول القلة العاملة فى قطاع الانتاج . وترتب أيضا على قيام مثل هذه الأوضاع الاقتصادية والسكانية استقطاب جهود الحكومات العربية نحو توفير الاحتياجات المتزايدة من الاستهلاك .

وكل هذا يفرض مسئوليات متزايدة على التربية بالإضافة إلى مسئوليتها فى مواجهة تعليم الأعداد المتزايدة من أبنائنا .

أما الانفجار المعرفى فمن المعروف أن عصرنا الحالى قد شهد تطوراً هائلا فى الميدان المعرفى بجانبيه الكمى والكيفى . ولابد لأى محاولة لتطوير اتجاهات التعليم فى الوطن العربى أن تضع فى اعتبارها هذا التطور الحادث فى العالم . كذلك ينبغى عند تطوير اتجاهات التعليم فى الوطن العربى أن نضع فى اعتبارنا آمال الشعوب العربية وتطلعاتها نحو بناء مستقبل مشرق ، وأن نحقق لها أيضا مستوى كريماً من الحياة فى ظل الدولة العصرية التى يتوفر فيها التقدم العلمى والتكنولوجى وأن نسخر

هذا التقدم من أجل خدمة الإنسان فى المجالات المختلفة . كذلك يجب ألا ننسى أمل الشعب العربى الذى كان يسعى اليه دائما فى حركة تطوره عبر العصور فى تحقيق الوحدة السياسية والاجتماعية لنجعل من هذا الوطن الكبير وحدة عضوية حية متماسكة تصنع الحياة والقوة والسلام فى كل أرجائه .

ثانيا : الظروف التاريخية والأوضاع السكانية لدول الخليج العربية

مقدمة :

يهمنا فى بداية كلامنا عن اتجاهات التعليم وسماته فى دول الخليج العربية أن نقدم لذلك بكلمة موجزة عن الظروف التاريخية والأوضاع السكانية باعتبارها خلفية ضرورية للإطار الذى نما فيه التعليم فى دول الخليج العربية .

إن دول الخليج هى دول حديثة العهد بالاستقلال . لكنها كما أشرنا من قبل تضرب بجذور راسخة فى أعماق التاريخ العربى الإسلامى . وتشترك مع باقى الدول العربية فى تراث حضارى وفكرى يمتد فى الماضى طيلة ١٤ قرناً من الزمان . كما أنها تدين بالإسلام منذ نشأته الأولى بحكم وقوعها فى الجزيرة العربية مهد الوحى والرسالة المحمدية . فقد دخل الإسلام إلى بلاد الخليج العربى فى عهد الرسول (ص) . وكان لأهله دور بارز فى نشر الإسلام فى شمال أفريقيا والشرق الأقصى من خلال الصلات التجارية مع هذه البلاد . كما أن الدول العربية الخليجية مرت بنفس الظروف التاريخية العامة التى تعاقبت على الدول العربية وتأثرت بها .

فقد خضعت الدول الخليجية شأنها شأن باقى الدول العربية للحكم التركى العثمانى طيلة قرون عديدة خيم فيها ظلام الجهل والتأخر . ولم تكن الدولة العثمانية معنية بأمر النهوض بالبلاد العربية الخاضعة لها ولذلك لم تعر التعليم أى اهتمام يذكر. وبعد هزيمة العثمانيين خضعت البلاد العربية لسيطرة بريطانيا وفرنسا . وكانت دول الخليج من نصيب البريطانيين الذين عملوا منذ البداية على تصفية السيطرة العثمانية. ولم يكن حظ التعليم طيلة الحكم البريطانى بأحسن منه فى فترة الحكم التركى

العثمانى . فلم تهتم الإدارة البريطانية بإنشاء أية مدارس فى دول الخليج ، واعتمدت فى إدارتها للمنطقة على جلب ما تحتاج إليه من موظفين وفنيين من مستعمراتها الأخرى لاسيما الهند . وهكذا وضعت البذور الأولى لسيطرة الأيدى العاملة الوافدة على سوق العمل بدول الخليج . وكان الإنجليز كما يقول طه حسين فى عبارة مشهورة « يقترون التعليم على ابنائهم فى بلادهم فما بالك بأبناء المستعمرات ». ومما زاد من تأخر نهضة الخليج العربى تأخر حصول دوله على استقلالها .

الهجرة الأجنبية :

تعرضت أقطار الخليج العربى لمخاطر الهجرة الأجنبية . فمنذ القرن السابع عشر قدمت بريطانيا - وكان الخليج تحت نفوذها - الدعم والمساندة للجاليات التجارية الهندية . وأجبرت بريطانيا حكام المنطقة على تقديم امتيازات تجارية للرعايا الهنود ، كما أعلنت حمايتها السياسية والقضائية عليهم . وقد ساعد ذلك على احتكار تجارة الجملة والتجزئة وسوق المال وتملك الأراضى والشركات التجارية ووسائل النقل . كما أن السلطة البريطانية استعانت بهنود - لتحدثهم الإنجليزية - للعمل فى الجيش والإدارة والتجارة والصيرفة والنقل . كما استعانت بهم الشركات والمؤسسات الحكومية والأهلية فى شتى المجالات .

ومنذ النصف الثانى من القرن ١٩ عملت السلطات البريطانية على تشجيع هجرة الهنود . ولم تكن هناك أية عوائق أمام هذه الهجرة . فعندما تصل سفن المهاجرين إلى سواحل المنطقة وموانيها كان ممثل السلطة البريطانية أو المحلية يصعد إليها ويعد الرؤوس ويحصل على الضريبة من قبطان السفينة ثم ينزل هؤلاء إلى البر ليبحثوا عن عمل وسرعان ما كانوا يحصلون عليه .

وقد شجعت بريطانيا الهجرة الإيرانية أيضا خلال القرنين الماضيين لأسباب تخدم مصالحها فى الاحتفاظ بمنطقة الخليج تحت سيطرتها واستخدام العناصر الأجنبية وقت الحاجة ضد الحركات القومية . وقد ساعد على هذه الهجرة تشجيع ايران نفسها لرعاياها

للهجرة إلى أقطار الخليج لأسباب سياسية واقتصادية . واستطاع بعض أفراد الجالية الإيرانية المهاجرة السيطرة على مراكز التجارة والمال .

وقد جلبت الهجرة الأجنبية إلى منطقة الخليج مشكلات كثيرة فى مقدمتها انتشار أمراض معدية لم تكن تعرفها المنطقة من قبل والتخلخل الاجتماعى الذى أحدثته الهجرة فى مجال العلاقات الاجتماعية والأسرية ، والتخلخل الاقتصادى الذى سببه احتكار بعض المهاجرين وسيطرتهم على سوق التجارة والمال والعمل والوظائف[١] .

البعثات التبشيرية :

إلى جانب خطر الهجرة تعرض الخليج أيضا لخطر البعثات التبشرية لاسيما الأمريكية التى حاولت من خلال نشاطها الطبى فى إنشاء المستشفيات وعلاج الأهالى ونشاطها التعليمى فى إنشاء المدارس أن تروج نشاطها الدينى التبشيرى . وكانت الحركة التبشيرية فى منطقة الخليج جزءا من حركة شاملة عمت البلاد العربية وتركزت فى لبنان . وقد أنشئت أول مدرسة تبشيرية للبنات فى البحرين سنة ١٨٩٢ تحت إدارة السيدة " زويمر " وبعدها افتتحت مدرسة أخرى تبشيرية للبنين سنة ١٩٠٥ . ويمثل هؤلاء المبشرون الرواد الأوائل للحركة الصليبية فى الخليج التى فشلت فى تحقيق أطماعها كما فشلت فى بقية أنحاء العالم العربى[٢] .

التعليم الحديث :

لم يدخل التعليم الحديث إلى دول منطقة الخليج إلا متأخراً بما يقرب من قرن من الزمان أو يزيد بالنسبة لشقيقاتها العربيات . فقد أنشئت أول مدرسة حديثة فى الحجاز سنة ١٩١٢ . وفى الكويت أنشئت فى نفس العام المدرسة المباركية كأول مدرسة حديثة وفى البحرين أنشئت مدرسة الهداية الخليفية سنة ١٩١٩ وفى دبى أنشئت المدرسة الأحمدية سنة ١٩١٩ وفى سلطنة عمان أنشئت أول مدرسة حديثة سنة ١٩٤٠ . وفى قطر وأبو ظبى والشارقة ورأس الخيمة وعجمان وأم القيوين لم تنشأ المدارس الحديثة إلا فى منتصف القرن العشرين . كما قام بعض الموسرين من التجار والأهالى بتأسيس

مدارس أهلية حديثة كانت رد فعل على المدارس التبشيرية والمدارس التركية العثمانية كما كانت رد فعل ليقظة الوعى القومى العربى والإسلامى .

وهكذا بدأ التعليم فى دول الخليج فى العصر الحديث بالجهود الفردية التطوعية التى كان يقوم بها الحكام وبعض الموسرين من أهل البلاد . فكانوا بدافع حب العلم الذى يحث عليه الإسلام ينهضون لإنشاء كتاب أو مدرسة لتعليم عدد محدود من الأطفال . وكانوا يوفرون مكان الدراسة ويجلبون المعلم أو الشيخ الذى يقوم بالتعليم ويتحملون أجرته كما يزودون التلاميذ مجاناً ببعض الكتب والأدوات الكتابية والقرطاسية .

وبصرف النظر عن الدخول فى تفصيلات تاريخ الخليج فإن أزهى عصور دوله ونهضتها الحديثة ترتبط ارتباطاً مباشراً بمرحلة ما بعد اكتشاف النفط . فمن المعروف أن أهل الخليج قبل استخراج النفط عاشوا حياة بدوية قاسية أملتها طبيعة الأرض الصحراوية القاحلة ومياه الخليج المالحة . وكان من الطبيعى أن يتجه سكان البلاد إلى الاشتغال بالرعى والتنقل وراء الكلأ والماء أو التجارة أو صيد الأسماك أو استخراج اللؤلؤ من البحر . أما بعد اكتشاف النفط وحصول البلاد على استقلالها فقد بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ البلاد استطاعت معها أن تحقق طفرة هائلة فى التنمية القومية فى مختلف المجالات ، ومنها مجال التعليم الذى يعنينا هنا بالدرجة الأولى والذى سنتناوله فى الصفحات التالية فيما بعد .

الوضع السكانى الراهن لدول الخليج :

يبلغ عدد سكان الخليج الست التى تشكل مجلس التعاون لدول الخليج العربية ما يزيد عن ١٥ مليون نسمة ثلثاهم فى المملكة السعودية وحدها . ويتوزع الثلث الباقى على الدول الخمس الباقية . ويلاحظ أن دولة الكويت والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان تتقارب فيما بينها من حيث السكان إذ يزيد عدد سكان كل منها عن المليون نسمة وتتقارب كل من قطر والبحرين فى حجم السكان الذى يصل حوالى ثلث مليون فى كل منها . وتتفاوت الكثافة السكانية لدول الخليج تفاوتاً هائلا تبعاً لتفاوت مساحة كل دولة .

ففى حين تصل الكثافة السكانية إلى أدنى مستوياتها (حوالى خمسة فى

الكيلو متر المربع) فى السعودية وعمان وهما أكبر دولتين فى شبه الجزيرة العربية من حيث المساحة نجد أنها ترتفع بشكل حاد (٥٩٠/كم) فى البحرين التى تعتبر أصغر دولة عربية خليجية من حيث المساحة . أى ما يزيد عن مائة ضعف . وتأتى الكويت بعد البحرين من حيث الكثافة السكانية (٩٨/كم٢) مع وجود فارق كبير بينهما . أما قطر والإمارات فيتقاربان إذ تصل الكثافة السكانية فى قطر ٢٦/كم٢ وفى الإمارات ١٩/كم٢ .

ومع أن الدول الخليجية ذات الكثافة السكانية المتدنية بها مناطق كبيرة غير مأهولة بالسكان لوعورتها وقسوتها إلا أن مثل هذا الوضع السكانى يثير قضايا تتعلق بالتركيب الديمغرافى لهؤلاء السكان الذى يؤثر بصورة مباشرة على إمكانية توفير بنية تحتية قاعدية بدرجة متقاربة فى مختلف المناطق يمكن الاعتماد عليها فى توصيل مختلف خدمات الدولة إليها . فمن المعروف أن التشتت السكانى وما يتصل به من طبيعة البلاد الصحراوية الوعرة أو القاسية يزيد من صعوبة وجود نظام فعال فى الاتصال والنقل الذى يعتبر أمراً ضرورياً لتقديم الخدمات المختلفة ومنها التعليم إلى مختلف البقاع . وحتى إذا أمكن تقديم هذه الخدمة فإنها عادة ما تكون مكلفة جداً نظراً لصغر حجم السكان المستفيدين منها . أما فى الدول ذات الكثافة المعقولة أو العالية فإن الوضع يختلف إذ يسهل تقديم الخدمات متى توفرت الإمكانيات وتكون الاستفادة من هذه الخدمات متمشية فى الغالب مع موازين التكلفة والعائد . ويلاحظ أن دول الخليج العربية تتقارب فيما بينها من حيث نسبة النمو السكانى إذ يصل متوسط هذه النسبة لكل الدول حوالى ٤٪ وتمثل دولة قطر الحد الأدنى (٣,٤٪) والكويت الحد الأعلى (٤,٨٪) .

وتعتبر دول الخليج العربية من حيث متوسط دخل الفرد من أعلى الدول فى العالم لاعتبارات معروفة . لكنها تتفاوت فيما بينها تفاوتاً كبيراً إذ يتراوح هذا المتوسط ما بين ٨٣٥٠ دولاراً فى عمان و ١٨١٧٠ دولاراً فى قطر .

وتأتى دولة الأمارات بعد دولة قطر من حيث متوسط دخل الفرد يليها البحرين فالكويت فالسعودية . وذلك حسب أحدث الإحصاءات التى نشرتها الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية . ونلخص فى الجدول التالى تفاصيل البيانات السابقة بالأرقام (٣) :

الدولة	عدد السكان	الكثافة السكانية	نسبة النمو السكانى	متوسط دخل الفرد بالدولار
الإمارات العربية	١,٦ مليون	١٩ /كم٢	٤,٥٪	١٦٤٢٩
البحرين	٣٣٩,٥٠٠	٥٨٩/كم٢	٤,١٪	١٢٨٧٥
السعودية	٩,٩ مليون	٥ /كم٢	٤,١٪	١٠١٦١
عمان	١,٢ مليون	٤ /كم٢	٤٪	٨٣٥٠
قطر	٣٠١٠٠٠	٢٦ /كم٢	٣,٤٪	١٨١٧٠
الكويت	١,٧ مليون	٩٨ /كم٢	٤,٨٪	١٢٣٤٠

العوامل المحددة للثروة البشرية فى دول الخليج

هناك عدة عوامل تساعد على تكوين المناخ العام للثروة البشرية فى الدولة وتحدده . من هذه العوامل ما يتعلق بالتركيب السكانى والديمغرافى ومنها ما يتعلق بالعوامل الاجتماعية المختلفة . وسنتناول فى السطور التالية معالجة هذه العوامل كل على حدة .

أولا : التركيب الديمغرافى والسكانى

يعتبر التركيب السكانى والديمغرافى عاملا هاماً فى تحديد القوى العاملة المتاحة وتتميز دول الخليج بصفة عامة بسمات سكانية مشتركة تتمثل فى النمو السكانى السريع لاسيما بعد اكتشاف النفط وتركز السكان فى الحضر ووجود نسبة كبيرة من الأطفال والشباب وقلة المعروض من الأيدى العاملة الوطنية .

obeikandl.com

١ - النمو السكانى السريع :

شهدت دول الخليج نمواً سكانياً كبيراً لاسيما بعد اكتشاف النفط بها وقد وصل النمو السكانى فى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية مجتمعة نسبة عالية تعتبر من أعلى النسب . وواضح أن هذه الزيادة السريعة فى النمو السكانى لا يمكن أن تعزى إلى مجرد الزيادة الطبيعية فى السكان . وإنما تعزى أيضا إلى الهجرة الخارجية . وقد ساعد على وجودها مجموعة من العوامل الرئيسية من أهمها :

أ - ما ولده اكتشاف النفط من إغراءات كثيرة للاستثمارات الخارجية فى المشروعات المختلفة مما خلق سوقاً كبيرة للعمل .

ب - نمو القطاعات الاقتصادية والصناعية والعمرانية والثقافية بصورة سريعة نسبياً تطلبت أعداداً كبيرة متزايدة من القوى العاملة المدربة .

جـ - قلة المعروض أو المتاح فى سوق العمل المحلية من القوى العاملة الوطنية .

وقد ترتب على النمو السكانى السريع نتيجة الهجرة تغيير فى التركيب السكانى نفسه من حيث الجنس . فمع أن نسبة الذكور الى الإناث تعتبر طبيعية بين المواطنين نجد أن هذه النسبة تنقلب رأساً على عقب لصالح الذكور إذا أضفنا المهاجرين. إذ نجد أن عدد الذكور يزيد على ضعف عدد الإناث . ومن المعروف أن معظم القوى المهاجرة هم من الذكور وأنهم غالباً ما يتركون زوجاتهم فى الوطن الأم إذا كانوا متزوجين ومن أرباب الأسر وذلك لأسباب معروفة . منها أن قوانين العمل فى دول الخليج لا تسمح بذلك . ويستوى فى ذلك العمال العرب وغيرهم . فقد أعطتِ الاتفاقية العربية لتنقل الأيدى العاملة المعدلة رقم (٤) لعام ١٩٧٥ الجهات المختصة فى الدول المضيفة مهلة ستة أشهر للبت فى طلب العامل إحضار أسرته مما يعطيها فرصة غير مقيدة للرفض والتأجيل [٤] على الرغم من أن الاتفاقية تنص على تمتع العمال الوافدين وأسرهم بحقوق ومزايا العمال الوطنيين .

٢ - تركز السكان فى الحضر :

يتركز معظم السكان فى دول الخليج فى العواصم أو الحضر بصفة عامة شأنهم فى ذلك شأن كثير من الدول الأخرى . وقد عمل هذا التركيز السكانى الحضرى على

وجود ظاهرة عامة مشتركة بين دول الخليج بصفة عامة هى عدم الاتزان فى النمو العمرانى بين الريف والحضر .

وترتب على ذلك مفارقات كبيرة فى الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية والتعليمية المتاحة . ولاشك أن الاستفادة الحقيقية من مثل هذه الخدمات تتطلب وجود تجمعات سكانية مناسبة تيسر تقديم هذه الخدمات بطريقة فعالة . وفى الوقت الذى نجد فيه ضغطاً كبير على هذه الخدمات فى المدن تصل أحياناً إلى وجود اختناقات بها نجد أن التشتت السكانى وعدم وجود تجمعات سكانية كبيرة فى الريف أو البادية لا يشجع على الاستفادة الحقيقية من هذه الخدمات (٥) . ففى كثير من الأحيان توجد المدارس فى هذه المناطق ولكنها شبه خالية . وقد تنبهت دول الخليج الى أن التغلب على هذه المشكلة انما يكون بإقامة المشروعات العمرانية والصناعية التى تساعد على التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما تتطلبه هذه التنمية من تجمعات سكانية خارج العواصم أو الحضر تساعد على ازدهار الخدمات المختلفة ومن بينها الخدمات الثقافية والتعليمية فى هذه المناطق .

٣ - وجود نسبة كبيرة من الأطفال :

تتميز دول الخليج شأنها فى ذلك شأن باقى الدول العربية بتركيب سكانى يمثل الأطفال فيه نسبة كبيرة ، وتشير البيانات الاحصائية الى أن ما يقرب من ثلث السكان دون سن التاسعة ، وأن ما يقرب من ربع السكان فى سن الشباب المبكر أى بين سن الخامسة والتاسعة عشرة . وإذا تذكرنا أن هذه السن هى فئة العمر المقابلة لمرحلة التعليم العام أمكننا أن ندرك بسهولة أن هذه النسبة الكبيرة من السكان فى هذه السن تمثل ضغطاً مستمراً متزايداً على الخدمات التعليمية بصفة عامة والتعليم العام بصفة خاصة . ومن ناحية أخرى يمكن أن ينظر الى هذه الفئة من المواطنين على أنها تمثل فئة العمر المنتجة فى المستقبل ومن ثم يجب العناية بتعليمها وإعدادها لمواجهة المتطلبات المتزايدة لحركة القوى العاملة فى البلاد .

٤ - قلة المعروض من القوى العاملة الوطنية :

تمثل قلة المعروض من الثروة البشرية أو القوى العاملة الوطنية ظاهرة عامة مشتركة فى دول الخليج ، وقد ترتب على ذلك أن هذه الدول أصبح مناطق جذب هائلة لأعداد متزايدة من القوى العاملة المهاجرة على اختلاف مستوياتها بما فيها القوى غير المدربة . وتشير البيانات الاحصائية لدول الخليج العربى أن قوة العمل الوطنية تمثل نسبة قليلة من قوة العمل الكلية مع تفاوت فى النسبة بين دولة وأخرى . ففى دولة البحرين مثلا أكثر من نصف القوى العاملة بها غير بحرينية حسب احصاءات ١٩٨١[٦] وفى قطر تمثل نسبة القطريين ٤٤٪ من العاملين فى قطاع الحكومة و ١١٪ من العاملين فى القطاع المختلط و ٣٪ من العاملين فى القطاع الخاص [٧] وفى عمان ما يقرب من نصف القوى العاملة من غير العمانيين . وسيظل اعتماد السلطنة على هذه القوى العاملة الوافدة لسنوات قادمة قدرت نسبتها بحوالى ٣٧٪ عام ٢٠٠٠ . وفى السعودية يقدر عدد العاملين من غير السعوديين بحوالى أربعة ملايين من مجموع السكان البالغ عددهم ما يقرب من عشرة ملايين أى أن ٤٠٪ من العاملين غير سعوديين . منهم مليون يمنى يمثلون ربع القوة العاملة الوافدة والباقون كوريون وباكستانيون ومصريون وبريطانيون وأمريكيون . ويقدر عدد البريطانيين بحوالى ربع مليون يعمل كثير منهم كأطباء وممرضات . ويقدر عدد الأمريكيين بحوالى ثلاثين ألفا [٨] . وهذه مجرد أمثلة تصدق على الدول الخليجية الأخرى بدرجات متفاوتة . وقد عمل النقص فى القوى الوطنية على زيادة كبيرة فى العمالة الوافدة الى دول الخليج لاسيما العمالة الآسيوية . فقد تضاعف معدل الزيادة فى هذه العمالة أكثر من خمسة أمثال (٥٢٥٪) فى غضون عشر سنوات فى الفترة من ٦٥ - ١٩٧٥ . ومنذ عام ١٩٧٩ أصبحت هجرة العمالة الآسيوية (العمال الهنود والباكستانيين والكوريين) أكثر تنظيماً عن طريق وكالات وشركات عملاقة تحصل على عقود بناء كبيرة لمشروعات إنشائية وصناعات للخدمات . وتتولى بنفسها عملية النقل الجماعى للعمال من بلادها فى أفواج لا يقل الفوج الواحد منها عن ١٥ ألف عامل فى مشروع واحد . وذلك فى صورة عقود جماعية تحدد أجور ومكافآت العامل والنسبة التى تذهب من الدخل إلى حكومته وإلى الشركة أو الوكالة التى تنقله إلى البلدان المستقبلية فى الخليج [٩] . مثل هذا التنظيم تفتقر إليه العمالة العربية الوافدة . فإذا أضفنا إلى ذلك

أن العمالة الآسيوية أكثر تدريباً وتحصل على أجور أقل استطعنا أن ندرك مدى التهديد المباشر والتحدى الخطير الذى تمثله العمالة الآسيوية للعمالة العربية فى دول الخليج . والأخطر من هذا أن البيانات الاحصائية تشير إلى أن دول الخليج سوف تحتاج فى المستقبل لمزيد من العمالة الآسيوية نتيجة افتقار سوق العمل العربية إلى العمالة الماهرة وبسبب نمط التكنولوجيا المتطور نسبياً فى هذه الدول بالمقارنة بالدول العربية المصدرةللعمال (١٠) .

ومع أن البيانات الاحصائية عن الزيادة السكانية فى دول الخليج تشير إلى أن الزيادة وصلت فى الفترة من ٨٠ - ١٩٨٥ إلى ٤ ,٦٩٪ فإن هذه البيانات تشير إلى أن الاتجاه فى السنوات القادمة سيكون فى زيادة مطردة وسيرتفع إلى أكثر من ٨٠٪ خلال الفترة من ٨٥ - ١٩٩٠ وتستمر الزيادة فى السنوات القادمة حتى تصل إلى حوالى ١٠٠٪ خلال الفترة من عام ١٩٩٥ حتى عام ٢٠١٠ (١١) .

ولقد أشارت ندوة تنمية الموارد البشرية فى الخليج العربى التى عقدت فى البحرين سنة ١٩٧٥ إلى أن دول الخليج تتميز بصفة عامة بارتفاع نسبة العمالة الوافدة نظراً لقلة الكثافة السكانية لهذه الدول من ناحية وقلة مساهمة المرأة الخليجية فى ميدان العمل من ناحية أخرى .

وهناك دراسات تناولت سلبيات وإيجابيات العمالة الأجنبية والوافدة فى دول الخليج (١٢) . ومن ثم فإن هذا الموضوع يثير جدلا وخلافا . فهناك من يرى أن هذه العمالة ضرورة لابد منها . وهناك من يرى ضرورة التخلص من العمالة غير العربية وإحلال عمالة عربية محلها . وليس هناك خلاف حول ضرورة استمرار الاستعانة بالعمالة العربية فى دول الخليج .

ثانيا : العوامل الاجتماعية

هناك أيضا العوامل الاجتماعية التى تؤثر بصورة مباشرة فى تحديد الثروة البشرية والقوى العاملة لا من الناحية الكمية فحسب ، بل ومن الناحية النوعية أيضا. ويأتى فى مقدمة هذه العوامل وضع المرأة الاجتماعى وتشريعات حماية الطفولة أو نظرة المجتمع إلى تشغيل الأطفال فى سن مبكرة والمستوى الصحى للسكان وأخيراً

المستوى التعليمى للسكان أيضا وسنناقش كل عامل من هذه العوامل فى السطور التالية :

١ - وضع المرأة كمحدد للثروة البشرية :

تلعب المرأة دوراً هاماً فى مجال العمل فى الدول المتقدمة . ومن المعروف أن التطور الاقتصادى والاجتماعى الذى مرت به هذه الدول هو الذى ساعد المرأة على القيام بهذا الدور . وبالنسبة للدول العربية فإنها تمر بمرحلة هامة من تطورها تشرف فيها على أبواب نهضة مباركة فى شتى الميادين ومنها ميدان العمل والتعليم . ومن المعروف أن معظم العاملين فى مختلف مواقع العمل والانتاج فى البلاد العربية بلا استثناء من الرجال نظراً لسيادة الرجل بحكم وضعه الاجتماعى وما درجت عليه التقاليد . وقد ساعد على هذا الوضع تخلف تعليمها وتأخر حصولها على حقوقها السياسية والاجتماعية . وفى الدول العربية الخليجية شأنها شأن باقى شقيقاتها العربيات لم تشارك المرأة بعد بدورها فى مجال العمل ، وإن كان هناك تطور ملموس يعكس الاهتمام المتزايد بتعلم المرأة وتزايد دخولها إلى ميدان العمل باستمرار . فالبيانات الاحصائية تشير إلى أن نسبة ضئيلة من النساء هى التى تشارك فى مجال العمل خارج المنزل . ففى البحرين على سبيل المثال تمثل المرأة ٦٪ من قوة العمل الوطنية وهى نسبة تعتبر حداً أعلى لباقى دول الخليج العربية . وفى قطر لا وجود للمرأة القطرية العاملة إلا فى القطاع الحكومى حيث تمثل نسبة صغيرة . أما فى القطاع الخاص والمشترك بين الحكومى والخاص فيندر وجود المرأة القطرية ويصدق ذلك على الدول العربية الخليجية بصورة أو بأخرى .

والواقع أن هناك عوامل اجتماعية وثقافية معروفة تتعلق بالوضع الاجتماعى للمرأة العربية تحدد فرص عملها ومجالاته . وهناك دراسات عربية خليجية كشفت عن مجالات العمل التى يمكن أن تطرقها المرأة العربية الخليجية . منها دراسة ميدانية أجريت على المجتمع السعودى [١٣] وتبين منها أن الشباب السعودى من الجنسين يرى أن العمل المناسب الذى يمكن أن تقوم به المرأة خارج بيتها يتمثل فى الأعمال التالية مرتبة حسب أولويتها :

- التدريس للبنات .
- الطب والتمريض للنساء
- الخياطة والتطريز للنساء
- داعية مسلمة للنساء
- باحثة إجتماعية للنساء
- مذيعة أو صحفية بعيدة عن الاختلاط بالرجال
- الأعمال الإدارية فى المجالات النسائية
- الإشراف على الجمعيات الخيرية النسائية
- الإشراف على المكتبات العلمية فى الأيام المخصصة للنساء
- العمل فى سجون النساء
- العمل فى متاجر تخصص لبيع ما يحتاجه النساء
- العمل فى الرئاسة العامة لتعليم البنات
- مشرفة فى مراكز الطفولة والأمومة
- مشرفة فى دور الحضانة
- رعاية الأحداث من بنات جنسها
- تفتيش النساء فى المطارات
- تصوير النساء - الطبع على الآلة الكاتبة - مترجمة - طباخة

كما أن هذه الدراسة وغيرها قد كشفت عن أن المرأة لا تعمل من أجل المال بل من أجل العمل نفسه ، فالعمل يملأ وقت فراغها ويشغل حياتها بما يفيد بعيداً عن القيل والقال ويتيح لها الخروج من المنزل بعيداً عن تبعية الزوج وأوامره ونواهيه . ويوفر لها الاستقلال الاقتصادى والأمن ضد تقلبات الزمن والأحوال إذا فقدت زوجها أو عائلها . كما أنه يزيد من قيمة المرأة فى نظر نفسها وزوجها وفى نظر المجتمع ويسهم فى زيادة اعتماد وطنها على الأيدى العاملة الوطنية مما يحد من استقدام الأيدى العاملة الوافدة [١٤] .

obeikandl.com

٢ - تشريعات حماية الطفولة :

تعتبر الطفولة ثروة هامة من ثروات الشعوب إذا أحسن استخدامها وتربيتها وتوجيهها . ومن ثم كانت حماية الطفولة ضد كل ما يهددها أمراً تحتمه المحافظة على هذه الثروة . واستخدام الأطفال فى سن مبكرة فى سوق العمل يفوت عليهم فرصة تعليمهم وتربيتهم وتنشئتهم على أحسن ما تسمح به استعدادتهم وقدراتهم . وتعتبر دول الخليج من الدول التى أولت الطفولة عنايتها واهتمامها بالمحافظة عليها ورعايتها، وكل دول الخليج بلا استثناء لديها تشريعات أو تنظيمات تحرم استخدام الأطفال فى العمل إذا كان سنهم أقل من ١٢ سنة ، كما أن الدساتير القومية والقوانين الأساسية لدول الخليج تتضمن مبادىء صريحة لحماية الطفولة وحماية الدولة للنشء من الاستغلال والاهمال الجسمى والروحى . كما يتضح من عرضنا للأسس التشريعية للتعليم فى دول الخليج عامة وكل دولة خليجية على حدة .

٣ - الحالة الصحية للسكان :

تمثل الحالة الصحية للسكان أهمية كبرى مباشرة لاسيما فيما يتعلق بالثروة البشرية والقوى العاملة . فزيادة نسبة الوفيات فى الدولة تعتبر دليلا على انخفاض المستوى الصحى للبلاد يترتب عليها خسارة مؤكدة فى الثروة البشرية على المدى البعيد والقريب . وسوء الحالة الصحية يؤثر تأثيراً مباشراً على القوى البشرية من ناحية الكم والكيف معا . فإلى جانب التأثير السلبى على إعداد القادرين على العمل يؤثر سوء الحالة الصحية للمواطنين . وهناك اهتمام واضح من جانب الدولة بتقديم الخدمات الصحية والطبية بما فيها الدواء مجانا . كما أن دول الخليج تتولى علاج المواطنين فى خارج البلاد إذا تطلب أمر علاجهم ذلك . ومع هذا الاهتمام فإنه ينبغى أن نؤكد هنا ضرورة زيادة الاهتمام بنشر الوعى الصحى بين المواطنين لاسيما الناشئين منهم ، فالوقاية خير من العلاج . وهنا أيضا يأتى دور التربية فى هذا السبيل من خلال المدرسة بصفة رئيسية ومعها كل وسائل الإعلام المختلفة .

٤ - درجة التعليم :

يلعب التعليم دوراً هاماً فى تنمية المجتمع وحراكه الاجتماعى والاقتصادى . وتمثل درجة التعليم أهمية نوعية خاصة بالنسبة للثروة البشرية . فلم يعد التعليم ترفاً ذهنياً أو عقليا . وإنما أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ، ومهما اختلفت الآراء حول أهمية التربية والتعليم ومهما تعددت الآراء حول الأهمية النسبية للمداخل المختلفة للتنمية القومية فمما لا شك فيه أن التعليم يعتبر مدخلا هاما إن لم يكن أهم مدخل لهذه التنمية لاعتماد أى مجال من مجالاتها على التعليم والتدريب كنقطة بداية وانطلاق . فالتعليم يعتبر استثماراً فى الموارد البشرية . وقد أظهرت دراسات كثيرة أن للتعليم مردوداً اقتصادياً يتزايد بتزايد مدة الدراسة ومستوى التعليم ، منها ما أظهرته دراسات فى الاتحاد السوفيتى أن ناتج العامل الذى يصل مستواه التعليمى مستوى التعليم الثانوى العام أو الفنى يعادل ٢٣٥٪ من ناتج العامل الذى يكون مستواه التعليمى الدراسة الابتدائية فقط . ولهذا تزداد أهمية التعليم بالنسبة للقوى العاملة الماهرة المدربة وهو ما تحتاج إليه دول الخليج العربية . وإذا تذكرنا ما أشرنا إليه من قلة المعروض من القوى العاملة فإن درجة التعليم تضيف قيداً جديداً على الاستفادة من القوى العاملة المتاحة . وتأتى مشكلة الأمية فى المقدمة وتعتبر مشكلة الأمية مشكلة عامة بالنسبة للبلاد العربية تنسحب عليها بدرجات متفاوتة . ومن المعروف أن الأمية تعتبر عقبة فى سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد العربية . ومن ثم فإن الأمية بمعنى آخر تعتبر من العوامل الهامة التى تحدد نوعية المتاح من الثروة البشرية والاستفادة منها استفادة كاملة . وهذا يشير إلى الدور الذى يلعبه التعليم بصفة عامة وتعليم الكبار بصفة خاصة وفى تنمية الثروة البشرية .

وتهتم دول الخليج ببرامج محو الأمية وتعليم الكبار بين المواطنين لدرجة أن تعليم الكبار يعتبر تعليماً موازياً لتعليم الصغار فى هذه الدول ، وهناك فصول مسائية لمن فاتتهم المدرسة وهى فصول اجبارية . كما أن هناك فصولا أخرى تؤهل للدراسة النظامية . وقد بلغ عدد الدارسين فى جميع فصول محو الأمية وتعليم الكبار

بدول الخليج العربية ما يزيد عن ربع مليون ، ما يقرب من نصفهم من الإناث حسب احصاءات مكتب التربية العربى لدول الخليج لعام ١٩٨٦/٨٥ . وهو ما يوضح ضخامة حجم هذا التعليم نسبيا . وإلى جانب مشكلة الأمية هناك أيضا انخفاض المستوى التعليمى بين نسبة كبيرة من القوى الوطنية العاملة مما يشير مرة أخرى إلى أهمية التعليم والتدريب فى تنمية هذه القوى وزيادة كفاءتها ومهارتها . فالبيانات الاحصائية الحديثة المتاحة عن دول الخليج العربية تشير إلى أن من مجموع العاملين فى القطاع الحكومى وهو القطاع الذى يحظى بالغالبية العظمى من العاملين من أهل البلاد يوجد ما يقل عن النصف قليلا بدون مؤهلات دراسية .

obeikandl.com

هوامش الفصل الأول

(١) مكتب التربية العربى لدول الخليج : وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافى لدول الخليج العربى - مسقط - عمان ٢١ - ٢٣ ابريل ١٩٨٥ ص ص ٣٩٩ - ٤٠٢ وقد رجعنا اليها فى الكلام السابق عن الهجرة الأجنبية .

(٢) لتفصيل الكلام عن الحركة التبشيرية والتعليم فى البلاد العربية ارجع إلى : محمد منير مرسى : تاريخ التربية فى الشرق والغرب - عالم الكتب - القاهرة : ١٩٨٦ ص ص ٤٤٣ - ٤٤٧ .

(٣) مجلس التعاون لدول الخليج العربية - الأمانة العامة : مجلة التعاون - ابريل ١٩٨٧ ص ص ٤٤٣ - ٤٤٧ .

(٤) الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية - مجلة التعاون . أكتوبر ١٩٨٧ ص ٦٨ .

(٥) فى المملكة العربية السعودية على سبيل المثال نجد أن معدل عدد التلاميذ بكل مدرسة من مدارس المدن ٣٦٤ تلميذاً فى حين أنه فى مدارس القرى ٩٨ تلميذا . انظر المؤشرات الإحصائية لوزارة المعارف السعودية ١٤٠٧ هـ . ص ٤١ .

(٦) دولة البحرين : إدارة الإحصاء : المجموعة الإحصائية ١٩٨١ .

(٧) دولة قطر : الجهاز المركزى للإحصاء : المجموعة الإحصائية السنوية العدد السابع يولية ١٩٨٧ .

(٨) Qatar - Doha - Gulf Times News Paper - 5 January 1988. P. 16.

(٩) الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية : مجلة التعاون أكتوبر ١٩٨٧ ص ص ٧١ - ٧٢ .

(١٠) نفس المرجع .

(١١) نفس المرجع .

(١٢) منها على سبيل المثال دراسة سامى أحمد خليل : العمال العرب والأجانب فى الخليج العربى - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٩٨٠ .

(١٣) محمد بيومى على حسن : الاتجاهات النفسية للشباب السعودى نحو عمل المرأة فى المجتمع - مركز النشر العلمى - جامعة الملك عبد العزيز جدة ١٩٨٧ - ص ٤٦ .

(١٤) المرجع السابق ص ص ٤١ - ٤٢ .

obeikandl.com